كتاب الكنه

فيما لابد للمريد منه

للشيخ الأكبر

محيي الدين ابن العربي الحاتمي الطائي

رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الأكبر، والنور الأبهر، والكبريت الأحمر، محيي الدين أبو عبد الله محمد بن علي ابن العربي الحاتمي الطائي الأندلسي رضي الله عنه آمين:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أمعين.

سألت أيها المريد عن كنه ما لا بد للمريد منه، فأجبتك في هذه الأوراق، والله الموفِّق لا ربَّ غيره.

مبادئ يجب أن تُعرَف:

اعلم أيها المريد وفقك الله وإيانا لطاعته، واستعملَنا وإياك بما يرضيه أن القرب من الله لا يُعلم إلا بتعريفه إيانا بذلك، وقد فعل ذلك ولله الحمد والشكر، فأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأوضح السُّبُل الموصلة إلى السعادة الأبديَّة، فآمنَّا وصدَّقنا، وما بقي إلا الاستعمال فيما وقع به الإيمان من الأعمال وتقرَّر في نفوس المؤمنين من وضع الشرع في محلِّه، ثم يجب عليك أيها المريد توحيد خالقك وتنزيهه، [ومعرفة ما يجب لله، وما يستحيل]، وما يجوز عليه سبحانه وتعالى.

فأمَّا توحيدُه، فلو ثَمَّ إلهٌ ثانٍ مع الله، لامتنع وقوع الفعل من الإلهين؛ لاختلاف الإرادات وجوداً وتقديراً، وفَسَدَ النظام، وذلك قوله تعالى: ﴿**لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنبياء22] ، ولا تسَلْ يا أخي بمن أشرك، ولا تحتاج إلى إقامة دليل على الوحدانيَّة والأحديَّة؛ فإن المشرك قد أثبت وجود الحقِّ تعالى معك، وزاد عليك بالشريك، فعليه الدليل على ما زاد، ويكفيك هذا في التوحيد؛ فإن الوقت عزيز، والعقْدَ سالِمٌ، والمخالفُ لا عينَ له موجودةٌ، والحمد لله.

وأما تنزيهه، فهو آكَدُ عليك من أجل المشبِّهة والمجسِّمة الظاهرين في هذا الزمان، فاعقد على قوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى11]، وحسبُك هذا، فكلُّ وصفٍ يناقض هذه الآيةَ مردودٌ، ولا تزِدْ، ولا تبرحْ من هذا الموطن؛ ولذلك جاء في السنَّة: (**كان الله ولا شيءَ معه**) تعالى الله عما يقول الظالمون علوَّاً كبيراً، وكلُّ آيةٍ أو حديث يوهم التشبيه مما يعطيه كلام العرب أو كلام من أُنزِل

عليه بشيء من الوحي والتبليغ، فيجب عليك الإيمان به على حدِّ ما يعلمه الله تعالى وما أنزله، لا على ما تتوهَّمه، واصرِف علم ذلك إلى الله، وما بعد ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، وما ينزِّهه منزِّه بعدئذ وقد نزَّه نفسَه بنفسه، وهو أنزه ما ينبغي له.

ثم بعد ذلك أيها المريد يجب عليك الإيمان بالرسل صلوات الله عليهم، وبما جاؤوا به، وما أخبروا عنه أنه عزَّ وجلَّ أعظمُ وأجلّ مما علمتَ وجهلت.

ثم حبُّ الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ولا سبيل بتجريحهم البتَّةَ، ولا الطعنِ فيهم، ولا تفضيلِ أحدٍ منهم على الآخر إلا بما فضَّله ربُّه في كتابه العزيز، أو على لسان نبيِّه ﷺ.

تعظيم من عظَّم الله:

ويجب عليك تعظيم من عظَّم الله تعالى ورسوله، ثم التسليمُ لأهل هذه الطريق فيما يُحكى عنهم من الحكايات، وكلِّ ما ترى منهم مما لا يسع العقل ولا العلم، وحُسْنُ الظنِّ بالناس أجمعين، وسلامةُ الصدْرِ، والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب، وخدمة الفقراء برؤية الفضل لهم في ذلك؛ حيث ارتضوك خُديماً لهم، وحملُ كُلفِهم وأذاهم وجفاهم، والصبرُ على أذاهم.

سلوك سبل الخير:

ومما لا بد منه الصمت إلا عن ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن الكريم، وإرشاد الضالِّ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإصلاح بين المتهاجرين، والتحريض على الصدقة، بل على كلِّ خير.

ومما لا بد منه طلبُ شخصٍ موافق يعينك على ما أنت بصدده وسبيله؛ فإن المؤمن كثيرٌ بأخيه، وإياك وصحبةَ الضدِّ.

ومما لا بد منه شيخ مرشِد، والصدق شعار المريد؛ لأنه إذا صدق مع الله تعالى جعل كلَّ شيطان في حقِّه ملَكاً يرشده إلى الخير، ويلهمه للخير؛ فإن الصدق هو الإكسير الأعظم، ما وُضِع على شيء إلا قلب عينَه.

أكل الحلال:

ومما لا بد منه البحثُ عن هذه اللقمة؛ فأساس هذا الطريق: اللقمة الحلال، عليها قام عماد هذا الطريق، ولا تثقِل على أحد، ولا تقبل من أحد، واحترِفْ وتورَّع في كسبِك ونطقِك ونظرِك وسمعِك، وفي جميع حركاتك، ولا تَوَسَّعْ في ثوب، ولا في مسكن، ولا في مأكَل؛ فإنَّ الحلال قليل لا يحتمِل السَّرَفَ.

التخفيف من الشهوات:

واعلم أن النفوسَ إذا زرعَ الإنسانُ الشهوةَ بها عسيرٌ قلْعُها بعد ذلك، ليس سعة هذا كلِّه لا بد منه.

ومما لا بد منه قلة الطعام؛ فإن الجوع يورِث النشاطَ في الطاعةِ، ويُذهِب الكسل.

وعليك بتعمير الأوقات في الليل والنهار، فأما الساعات التي دعاك الشرع إليها إلى الوقوف بين يدي ربِّك، وهي الخمسة أوقات الواجبة عليك، وباقي ما بينها من الأوقات؛ فإن كنت صاحبَ حرفةٍ، فاجتهِدْ أن تعمل فيها أياماً مثلَ البتي بن هارون الرشيد رحمة الله تعالى عليه.

ولا تفارق مصلاك بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ومن بعد صلاة العصر إلى غروبها بذكرٍ وخشوع وخضوع، ولا يفوتك الوقوف مصلِّياً من الظهر إلى العصر، ومن المغرب إلى العشاء الأخيرة بعشرين ركعة، وحافظ على أربع ركعات أول النهار[1]، وقبل الظهر، وقبل العصر، واجعل وترك ثلاثَ عشْرةَ ركعة.

ولا تنَمْ إلا عن غلَبة، ولا تأكل إلا عن فاقة، ولا تلبَسْ إلا عن وقاية من حرٍّ أو برد بنيَّة ستر العورة، ودفعِ الأذى القاطع عن عبادة ربِّك.

[1] **أي: صلاة الضحى.**

آداب تلاوة القرآن الكريم:

وإن كنت ممن يعرف يكتب، فاجعل على نفسِك وِرْداً من القرآن في المصحف تمسكه في حِجْرِك، وتلقي يدَك اليسرى تحت المصحف، وتمشي بيدك اليمنى على حروفه وأنت تنظر، وترفع صوتك؛ بحيث تُسمع نفسك وترتِّل القرآن، وتسأل في السورة التي توجب السؤال فيها، وتعتبر في آية الاعتبار، وتعامَل في كلِّ آية بما يليق بها، وما تدلُّ عليه من تلك الصفات، فانظر ما عندك منها وما فقدت من ذلك، فاشكره على ما عندك، وما فاتك حصِّلْه، وإذا قرأت وصفَ المنافقين والكافرين، فانظر هل فيك من تلك الصفات شيء أم لا؟

محاسبة النفس:

ومما لا بد منه محاسبتُك نفسَك، ومراعاةُ خواطرِك في الأوقات، ثم أشعر الحياء من قلبك من الله تعالى؛ فإنك إذا استحيت من الله، منعت قلبك أن يخطر فيه خاطر يذمُّه الشرع، أو تتحرك بحركة لا يرتضيها الحقُّ.

ولقد كان لنا شيخٌ يقيِّد حركاته في صحيفة، ثم إذا جَنَّه الليل، وضعَها بين يديه، ثم حاسبَ نفسَه على ما فيها، وزدت على شيخي بتقييد خواطري.

ومما لا بد منه مراعاة الخواطر والأوقات؛ بأن تنظر في الوقت الذي أنت فيه، وتنظر فيما قال لك الشرع أن تعمل فتعمل، فإن كنت في وقت فرض، فأدِّه، أو ندب فبادر إليه، وإن كنت في وقت مباح، فاشغل نفسك بما ندبك الحق إليه من الخير على أنواعه، وإذا شرعت في مشروع يعطي قربة، لا تحدِّث نفسك أن تعيش بعده إلى عمل آخر، فاجعل ذلك آخر عمل من الدنيا الذي تلقى به ربك، فإذا فعلت هذا خلصت، ومع الخلاص يكون القبول.

فصل:

ومما لا بد منه الجلوس على طهارة دائماً، ومتى أحدثت توضأت، ومتى توضأت صلِّ ركعتين إلا أن يكون وقت كراهة نُهيتَ عن إيقاع الصلاة فيه، وهي ثلاث أوقات: عند طلوع الشمس إلى وقت استوائها إلا يوم الجمعة، وبعد العصر إلى غروبها.

فصل:

ومما لا بد منه البحث عن مكارم الأخلاق وإتيانها، وتعيِّن منها خلقاً، وكذلك سوء الأخلاق اجتنبها كلَّها، واعلم أن من ترك خلقاً كريماً، فإنه ذو خلق ذميم يعني بتركه، واعلم أن الأخلاق على أصناف كما هم الخلق على أقسام، فينبغي أن تعرف أيَّ خلق تستعمله، والذي يعمُّ أكثر الأصناف: إيصال الراحة إليهم، ودفع الأذى عنهم، لكن في رضاء الله تعالى.

واعلم أن الخلق عبيد مسخَّرون مجبورون في حركاتهم، ونواصيهم بيد محرِّكهم، والنبي ﷺ قد أراحنا في هذا المقام، قال: (**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) ، فكل موضع قال لك الشرع فيه: إن شئت أن تتصرف، وإن شئت تركت، اختر الترك، أو قال لك: إن شئت جازيت، وإن شئت عفوت، فاجنح إلى العفو والصفح، وأجرك على الله تعالى، وإياك أن تقتصَّ لنفسك ممن أساء إليك؛ فإن الله عز وجل سماها سيِّئةً بالجملة، وإن كانت مما يسوء المقتصَّ منه، وكل موضع قال لك الشرع: اغضب، فإن لم تغضب، فما هو خلق حميد؛ لأن الغضب لله تعالى من مكارم الأخلاق مع الله تعالى، وطوبى لمن عامَلَه وصحِبه، فسمع الله تعالى يقول: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ . [القلم4]

فصل:

ومما لا بد منه مجانبة الأضداد، ومن ليس من جنسك من غير أن تعتقد فيهم السوء أو يخطر ذلك في خاطر، ولكن نية صحبة الحق تعالى وأهله، وإيثاره عليهم.

كذلك فعامِل هذه الحيوانات بالشفقة عليهم والرحمة بهم؛ لنهم ممن سخرهم الله سبحانه لك، فلا تحمِّلهم فوق طاقتهم، ولا تركب ما تركب منه بطراً وبأشَر.

تربية الأولاد:

فإن كان لك ولد، فعلِّمْه القرآن لا لغرض من أغراض الدنيا، وألزمْه محافظةَ آداب الشريعة، والأخلاق الدينيَّة، واحملْه على الرفق والزهد من صغره؛ كي يعتادها، ولا تزرع الشهوات في قلبه، وبغِّض إليه زينة الحياة الدنيا، وما يؤول إليها صاحبها من نقص الحظِّ في الآخرة، وما يؤول إليه تاركها من جزيل العطاء في الآخرة، ولا تعمل ذلك شحّاً على درهمك ومالك.

اجتناب السلاطين:

ومما لا بد منه ألا تقترب من أبواب السلطان، ولا تصاحِب المتنافسين في الدنيا؛ فإنهم يأخذون بقلبك عن الله تعالى، فإن اضطرَّك أمر إلى صحبتهم، فعامِلْهم بالنصيحة، ولا تغشَّهم؛ فإنك تعامِل الحقَّ سبحانه وتعالى، ومهما فعلت، سُخِّروا لك في عموم أحوالك، فتوجَّه إلى الله تعالى في تخليصك مما أنت فيه بما هو أحسن لك في دينك.

فصل:

ومما لا بد منه الحضور مع الله تعالى في جميع حركاتك وسكناتك.

الإنفاق:

وأوصيك بالإنفاق في السرَّاء والضرَّاء، والشدَّة والرخاء؛ فإن ذلك دليل على ثقة القلب بما عند الله تعالى؛ فإن البخيل جبان يأتيه الشيطان، فيمدُّ أملَه، ويطيل عمرَه، ويقول له: إن أنفقت مالك هلكت، وبقيت مثلةً بين أقرانك وأصحابك بلا شيء، فأمسِك عليك، واستعدَّ إلى نوائب الزمان، ولا تغترَّ بهذا الرخاء الذي أنت فيه، فما تدري ما يُحدِث الله في العام القابل، وإن كانت أوقات شِدَّة وضرَّاء، فيقول لك: أمسِكْ عليك أحداً شيئاً؛ فإنك لا تدري متى تنقضي هذه الشدة، ولعلَّ هذا الأمر لا يزداد إلا صعوبةً، واحفظ على نفسِك، فما أحدٌ ينفعك إذا لم يبقَ معك شيء، وتتأخَّر، وتثقل على الخلق، وتُذهِب ماء وجهك، فإذا استمرَّت هذه الوسوسة على قلب هذا المسكين، أدَّتْه إلى الشحِّ والبخل، وحالت بينَه وبين قولِه تعالى: ﴿ **هَاأَنتُمْ هَؤُلَاء تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاء وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾ [محمد38] ، وعندنا في هذا الطريق إذا التحق رجلٌ بأهل الله تعالى، ثم بخل، فإنه يُستبدَل مكانه، وينزل عن ذلك المقام من قوله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ39] ، وحال بينه وبين قولِه تعالى: ﴿ **رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُواْ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ [يونس88]، فضيَّعوا فقراءهم، فماتوا جوعاً، وحالت بينه وبين حال النبيِّ ﷺ: (**أنفقْ يا بلال، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً**) ، وبينه وبين قولِه: (**إن لله ملَكَين في كلِّ يوم ينادي عند الصباح: اللهم أعطِ كلَّ منفِقٍ خَلَفاً، وأعطِ كلَّ ممسِكٍ تلَفاً**)، وحالت بينه وبين حال النبي ﷺ حين أعطي الكنزين، فاختار تركَهما على أحدِهما، وبين حال أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله تعالى عنه حين جاء إلى النبي ﷺ بجميع مالِه، فقال له النبيُّ ﷺ: (**ما أبقيت لأهلِك يا أبا بكر؟**) قال: اللهَ ورسولَه، وجاء عمر بن الخطَّاب [رضي الله عنه] بنصف مالِه، فقال: (**ما أبقيتَ لأهلك؟**) قال: النصفَ، وتصدَّقتُ بالنصفِ، قال: (**ما بينكما كما بين كلمتيكما**) فالإنفاق سبب لاستجلاب الرزق من الرزاق في الدنيا والآخرة، فكلُّ من أمسك فهو لله تعالى متَّهم، وعلى درهمِه معتمِد، وكانت ثقته بدرهمه أعظم من ثقته بربِّه، وهذا طعن بإيمانه، ونسأل الله تعالى العافية.

وعليك بالإنفاق في الشدَّة، ولا تخفْ الفقر، فليس الرجل إلا كما قال رسول الله ﷺ :(**من قال بمالِه هكذا وهكذا**) يميناً وشمالاً، والله تعالى مُوْفٍ لك ما وعدك شئتَ أم أبيت، أشاء العالَم أم أبى، فما هلَكَ سخيٌّ قطُّ، ولولا قصدي الاختصارَ، لسقنا من الأخبار ما يتأيَّد به ما ذكرنا.

فصل:

وعليك بكظم الغيظ؛ فإنه دليلٌ على سَعة الصدر، فإنك إذا كظمتَ غيظَك أرضيتَ الرحمن، وأسخطت الشيطان، وقمعتَ نفسَك، وردعتَها حيث لم تنتصِرْ لها، وأدخلت السرور على قلب من كظمتَ غيظَك عنه ولم تجازِه بفعلِه، وكان ذلك سبباً في رجوعِه إلى الحقِّ، وإنصافِه، وإقراره بالجفاء عليك والتعدِّي، وربما كان ندِم على ما وقع منه، فعليك بواقع القَبول فتخلَّق بذلك.

ثم الفائدة الكبرى، والفضيلة العظمى: أنك إذا كظمتَ عمَّن فعل ذلك الغضب جازاك الله تعالى على فعلِك، فأيُّ فائدة أتمُّ من عفوِك عن أخيك، وتحمُّلِ أذاه، وكظم غيظِك.

وما أراد الحقُّ أن تفعلَه مع عبدٍ فقد أراد أن يفعلَه معك بعينِه، فاجتهِد في هذه الصفات؛ فإنها تورث المودَّة في قلوب الناس؛ فإن النبي ﷺ أمرنا بالتودُّدِ والتحابُب، وهذا من أعلى أسباب تؤدي إلى المحبَّة.

فصل:

وعليك بالإحسان؛ فهو دليل على الحياء منه تعالى، وعلى تعظيم الله تعالى في قلب المحسِن، قال جبريل: ما الإحسان؟ قال النبيُّ ﷺ: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**»،وقال ﷺ: «**إن الحياء من الإيمان، والحياءُ خيرٌ كلُّه**» ، فمن المحال أن يكون عند المؤمن شرٌّ.

فصل:

وعليك بلزوم الذكر والاستغفار؛ إن كان عَقيبَ طاعةٍ وإحسان، فنورٌ على نور، وسرورٌ على سرور؛ فإن الذكرَ أجمعُ لِلْهَمِّ، وأصفى للخاطر، فإن سئمتَ، فانتقِل إلى تلاوة كتاب الله مرتِّلاً بتدبُّر وتفكُّرٍ وتعظيم وتنزيهِ، وسؤال عند آية السؤال، وتضرُّع عند آية خوفٍ ووعيد واعتبار؛ فإن القرآن لا يسأم قارئه؛ لاختلاف المعاني فيه.

فصل:

وعليك بحلِّ عُقَدِ الإصرار من قلبِك، ولا تطيق ذلك إلا أن تقول لنفسِك في النفَس الخارج: هل تدرين يا نفسُ أن النفَسَ الآخرَ يأتيكِ أم لا، فلعلَّ ــ والله أعلم ــ ربما تموتين في هذا النفَس، وأنه آخر أنفاسِك في الدنيا وأنت مصرَّة على السوء، [و] عند الله تعالى للمصرِّين على الذنوب من العذاب ما لا تطيقه الجبال الشوامخ، كيف بضعيفةٍ مثلِكِ، فتوبي إلى الله تعالى؛ فإنكِ لا تدرين متى يفاجئكِ الموت؟ فإن الله تعالى يقول: ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً**﴾ [النساء18]، وقال سيِّدُ الخلق رسول الله ﷺ: (**إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغِر**) ، وكم من شخصٍ فاجأه الموتُ وهو يأكل ويشرب وينكح، أو هو نائم، فلا يستيقظ.

وَعِظْ نفسَك بمثل هذا؛ فإنه متى كان منك مثلُ هذا وكثُرَ، انحلَّت عُقَدُ الإصرار.

فصل:

وعليك بتقوى الله في السر والعلانية، ومعنى التقوى هو الحذر من عقابه؛ فإنه من خاف من عقابه بادر إلى الفعل الذي يرضي الله تعالى، والله تعالى يقول: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ**﴾ [آل عمران30] وقال: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [البقرة235] فالتقوى مشتقٌّ من الوقاية، فاتقِ الله من فعلِ الله، كما قال: أعوذ

بك منك، فكلُّ شيءٍ تخافه وتخشاه، فاجتنِب الطريق الموصلة إليه؛ فإن المعصيةَ طريق موصلةٌ إلى الشقاوة، والطاعةَ طريقٌ موصِلة إلى السعادة.

فصل:

وإياك والاغترار، فهو أن تخدعَك نفسُك بكرم الله تعالى وحِلمِه مع استمرارِك على معصيته، ويخدَك إبليس لعنةُ الله عليه بأن يقول لك: لولا ذنبُك ومخالفتُك من أين يظهرُ كرمُه ورحمتُه وعفوُه ومغفرتُه؟ وهذا غايةُ الجهلِ من قائلِه؛ فإنَّ كرمه ورحمته [أن] أستعين على طاعتِه، وحال بيني وبين معصيتِه ومخالفتِه، ويقول لك: ما على المحسنين من سبيل؛ فإن الرحمة سبقت لهم من الله تعالى في الدنيا والآخرة، فلا يغرَّك هذا الكلام، فقل له: أما كرمه ورحمته وما ذكرت منه كان، صحيحٌ أنه لولا المخالفة والذنوب، لما ظهرت آثار هذه الصفات على زعمِك، والآثار والأخبار فيها صحيحة، لكن يا ملعون تريدُ أن تغرَّني بكرم الله تعالى، ومن أين أعلم أني ممن عُفي عنه، أو يُغفر له؟ نعم يلحق كرمه ورحمته ومغفرته وعفوه بمن شاء من عصاته، وأنا لا أدري من أيِّ الفريقين أنا _ عند فعلي هذا، ولعلَّ الله تعالى كما حرمني التوبة من المعصية هنا يحرمني عفوَه قبل دخولي النار، فينتقم مني، ألا وإن الذنب بريد الكفر، فلو علمت قطعاً أني ممن يُعفى عنه قطعاً، ولا يؤخذ بذنب، ربما اغتررت بكلامِك، وذلك حمق مني وجهلٌ، بل كان الواجب أن أبذل جهدي في طاعة الله؛ شكراً لله تعالى، وحياءً منه؛ فإنه أولى مَن أستحي منه. كيف وما بشَّرني على التعيين ولا أمَّنني، بل تركني مهملاً في معصيتي بين عفوه وعذابه. كيف أغترُّ بزورِك، وبزور نفسي الأمَّارة بالسوء؟!

فصل:

وعليك بالورع، وهو اجتناب ما حاك في صدرك، قال النبي ﷺ: (**دع ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك**) ولو لم تجد غيرَه وأنت محتاج إليه، واتركه، يعوِّضْك الله خيراً منه، ولا تستعجل، فالورع أساس الدين، فإذا استعملته زكت أفعالك، ونجحت أحوالك، وكملت أقوالك، وسارعت إليك الكرامات، وكنت محفوظاً في جميع أمورك حفظاً إلهيّاً لا شكّ فيه. الله اللهَ يا أخي، الورعَ الورع.

فصل:

وعليك بالزهد في الدنيا، وقلَّة الرغبة فيها، بل اعدِمْها من قلبك جملةً واحدةً، وإن كنت لا بد لها طالباً، فاقتصِرْ على طلب القوت منها من وجهه، فلا تنافِسْ أبناءَها؛ فإنها عَرَضٌ لا يبقى، ولا ينال الراغب منها مرادَه أبداً، والله تعالى لا يعطيه إلا ما قَسَم له، والراغب فيها لا يزال كثيرَ الحزن عليها، ممقوتاً عند الله تعالى، فإن مثل الطالب لها كمثل شارب ماء البحر؛ كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، وحسبك من تشبيه النبي ﷺ [لها] بالجيفة والمزبلة، وهل يجتمع على الجيفة والمزبلة إلا الكلاب.

قال الله تعالى:(**يا ابن آدم إن رضيت بما قسمتُ لك، أرحتَ قلبَك وبدنك، وجاءك رزقُك وأنت محمود، وإن لم ترضَ بما قسمتُ لك، أتعبتَ قلبك وبدنك، حتى تركض وراءَها ركضَ الوحوش في البرِّية، ثم وعزتي وجلالي، لا ينالك منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم**).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم، والحمد لله رب العالمين.

—